دراسات
في الحديث النبوي
وتاريخ تدوينه

تأليف
الدكتور محمد مصطفى الأعظمي

المكتب الإسلامي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م

إن مطبوعات المكتب الاسلامي تطلب مباشرة على عنوانيه
بيروت : ص.ب ٣٧٧١ - ١١ هاتف ٤٥٠٦٣٨ برقيًا (اسلاميًا)
دمشق : ص.ب ٨٠٠ هاتف ١١١٦٣٧ برقيًا (اسلامي)
وليس للمكتب أي وكلاء أو متعهدين في بيروت أو أي بلد آخر

بسم الله الرحمن الرحيم

، توطئـــة ،

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آلـــه وصحبه أجمعين ، ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه الى يوم الدين ٠

أما بعد ،

فقد كتبت هذا البحث باللغة الانجليزية ، وقدمته الى جامعة كمبردج ،لنيل درجة الدكتوراه ، وذلك في تشرين أول ـ أكتوبر ـ عام ١٩٦٦ م ٠

وأحمد الله سبحانه وتعالى على أن وفقني ـ الآن ـ لتقديمه في ثوبـــه العربي لناطقي لغة الضاد ـ لغة الاسلام ـ وللأمة الاسلامية ، آملا أن أتمكن من دحض بعض الشكوك والشبهات ، التي أثارها الكتاب حول السنة النبوية فـــي الشرق والغرب، بسبب جهلهم من ناحية وسوء فهمهم للموضوع من نواحي أخرى٠

وعندما أردت نقل الكتاب الى اللغة العربية ، أشار على بعض أصدقائـي بأن أتخلى عن الايجاز الذي لازم كتابة البحث باللغة الانجليزية ، اذ كان البحث مركزا وموجزا خاليا من النصوص ٠ وكنت أكتفي بالاشارة الـــى النصوص الواردة في المراجع الموثوق بها ٠

لذا قررت ـ في هذه الطبعة العربية ـ أن أؤيد كلامي واستنتاجي بنصوص صريحة واضحة ، يتمكن القراء من خلالها من الحكم بسهولة على مايقـــرءون وخاصة في الفصول التي تتعلق بكتابة الأحاديث في وقت مبكر ٠

ومما رجح اتباع هذا المنهج في الكتابة ـ عندي ـ فقدان الأمانة العلميـة لدى كثير من الباحثين المعاصرين فيما ينقلون من نصوص ، واكتفاؤهم بالاشارة اليها ، أو بنقلها مع التصرف في عبارتها ٠ ثم يستنتجون منها مايشـــاءون أو يحملونها مالا تطيقه بشكل من الأشكال ، الأمر الذي يفرض هنا عرض النصوص كاملةموثقة لتكون شاهد الحكم وفصل القول فيما يختلف فيه ٠

ومع أن هذا المنهج الجديد قد سبب لي عبئا اضافيا حيث اضطرني الـــى مراجعة كثير من الأصول لنقل النصوص فقد التزمته هنا بياناً لوجه الحـــق ، ودحضا للشبهات في هذا البحث المهم ٠

ولم تقف ميزة هذه الطبعة على الطبعة الأنجليزية بوجود النصوص المعتمد عليها في البحث فحسب ، ولكن باضافة ، ، الباب الأول ، ، الذي تخلو منه الطبعة الأنجليزية وهو مدخل ضروري يتناول مفهوم السنة ومكانتها في الاسلام ٠

وتنشر هذه الطبعة ضمن مطبوعات جامعة الرياض ، التي أرى لزاما علىّ أن أتوجه اليها بالشكر ، وأن أخص به معالي مديرها الدكتور عبد العزيز الفدا الذي لا يالو جهدا في نشر الكتب النافعة .

وأشكر كذلك الاخوة العاملين في مطابع الجامعة وعلى رأسهم مديرها الاستاذ موسى اسماعيل وذلك للجهد الكبير الذي بذلوه في اخراج الكتاب على هذه الصورة .

والله أسأل أن يديم علينا نعمة التوفيق ، وأن ينفع بعملنا ، ويجعله خالصا لوجهه . والحمد لله رب العالمين .

محمد مصطفى الاعظمي
كلية التربية ـ جامعة الرياض
١٣٩٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة جائزة الملك فيصل العالمية
للدراسات الإسلامية

إن هيئة جائزة الملك فيصل العالمية بعد اطلاعها على نظام جائزة الملك فيصل العالمية المصادق عليه من مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالقرار رقم ٩٨/٦/١١ وتاريخ ١٣٩٨/٨/١٠ هـ، وبناء على محضر لجنة الترشيح والاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية بتاريخ ٢٦ صفر ١٤٠٠ هـ، تقرر منح :

الدكتور محمد مصطفى الأعظمي

جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية لهذا العام ١٤٠٠ هـ، تقديرا لجهوده في خدمة الدراسات التي تناولت السنة النبوية والمتمثلة فيما يأتي :

١- إن كتابه « دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه » يُعد عملا أكاديميا جيدا يتضح من جهد علمي محمود وإلمام جاد بالسنة النبوية مع الالتزام بالمنهج العلمي في البحث، والدفاع عن السنة الشريفة بتصدية الآراء المستشرقين ومناقشتها مناقشة علمية ورد شبهاتهم وتفنيد آرائهم بالأدلة الدامغة، وإسقاط الروايات الضعيفة التي اعتمدوها والكشف في وضوح عن خطأ فهمهم لبعض الروايات العربية. وبذلك يقف كتابه في المقدمة مع الدراسات المعاصرة الطيبة في تاريخ الحديث وإسهام بنصيب موفور في خدمة السنة النبوية من ناحية تاريخها وتدوينها وتصنيفها وردّ شبهات المغرضين.

٢- إن كتابه « صحيح ابن خزيمة » الذي نشره وحققه يعد من أهم الكتب بعد صحيحي البخاري ومسلم، وقد بذل جهدا كبيرا في مقابلة نسخته الفريدة بكتب الأحاديث الأخرى وصنوف أخرى منها وتخريج أحاديثها والحكم عليها حكما علميا دقيقا، ويعد من أكثر الصحيحين أو أحدهما، الأمر الذي يدل على تمكنه من علم الحديث حتى أخرج عملا علميا كبيرا أقتضى جهدا ضخما أضاف به إلى المكتبة الحديثية جديدا، فحقق بذلك أملا تتطلع إليه الكثيرون من المعنيين بالسنة النبوية.

٣- إن مشروعه « الكمبيوتر واستعماله في خدمة السنة النبوية » يقدم تجربة فعلية أولية باللغة العربية في استخدام الحاسب الآلي في حقل الدراسات الحديثية، وذلك عمل ضخم يستنفد الاستعمال الكثير من الوقت والجهد، ولا شك أن عمله هذا عندما يكمل سيكون له نفع عظيم يتمثل في إيجاد الموسوعة الحديثية وهي عمل ضخم تمس الحاجة إليه.

وإن هيئة الجائزة إذ تمنحه ذلك فإنها ترجو الله له السداد والتوفيق في خدمة السنة النبوية الشريفة والله ولي التوفيق

صدرت في الرياض بتاريخ الخامس والعشرين من ربيع الأول ١٤٠٠ هـ
الموافق ١٢ فبراير ١٩٨٠ م

رئيس هيئة الجائزة

فهد بن سلطان بن عبد العزيز

(ترجمة تقدمة البروفسور آربرى الى اللغة العربية)

لاشك ان أهم مجالات البحث فيما يتعلق بدراسة الحديث هو الكشف عن تلك المجموعات الصغيرة من الاحاديث ، السابقة على المجموعات الست [الكبرى] المعتمدة : البخاري ، ومسلم ، وبقية [الكتب] الستة ، وتحقيقها وبيان مدى صحتها ٠

وفي هذا المجال ، فان الدكتور الأعظمي قد قام بعمل رائد بلغ الذروة في قيمته ، وقام بهذا العمل على مقتضى الأقيسة الصحيحة للبحث العلمي ٠ وان الرسالة التي قدمها ، والتي منحته جامعة كمبردج من أجلها درجة الدكتوراه في الفلسفة ، لهي في اعتقادي من أروع التحقيقات العلمية التي قدمت في هذا المجال في العصر الحديث ، ومن أكثرها أصالة ٠

البروفسور أ٠ج٠ آربرى

FOREWORD

Pembroke College,
Cambridge.
16 February 1967.

No doubt the most important field of research, relative to the study of Hadith, is the discovery, verification, and evaluation of the smaller collections of Traditions antedating the six canonical collections of al-Bukhari, Muslim and the rest. In this field Dr Azmi has done pioneer work of the highest value, and he has done it according to the exact standards of scholarship. The thesis which he presented, and for which Cambridge conferred on him the degree of Ph.D., is in my opinion one of the most exciting and original investigations in this field of modern times.

Professor A.J.Arberry

بيان بالرموز المستعملة في الكتـاب

ابن جريج	روح بن عبادة ، أحاديثه عن ابن جريج
ابن خزيمة	صحيح ابن خزيمة
ابن ابي خيثمة	تاريخ ابن ابي خيثمة
ابن راهويه	مسند اسحاق بن راهويه
ابن سعد	الطبقات الكبرى لابن سعد
ابن طهمان	جزء ابراهيم ابن طهمان
الأصل	نسخة سهيل بن ابي صالح عن أبيه
أضواء	أضواء على السنة المحمدية
الأعمش	نسخة وكيع عن الأعمش
أبو عوانة	مسند ابي عوانة
أبو يعلى	مسند أبي يعلى الموصلي
الاملاء	ادب الاملاء والاستملاء
الباجي	التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح
ت	الجامع للترمذي
تهذيب	تهذيب التهذيب
الثوري	جزء مما أسند الثوري
الجامع	الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع :
جه	سنن ابن ماجه
جويرية	نسخة جويرية بن اسماء عن نافع
حم	مسند ابن حنبل
الحميدي	مسند الحميدي
خ	الجامع الصحيح للبخاري
الخزرجي	خلاصة تذهيب الكمال
د	سنن ابي داود السجستاني
دى	سنن الدارمي
الرامهرمزى	المحدث الـ ـل بين الراوي والواعي
زنجويه	كتاب الأموال ، بن زنجويه
ط	الموطأ للامام مالك
الطبري	تاريخ الطبري
طس	مسند ابي داود الطيالسي
طص	المعجم الصغير للطبرانـي
طط	المعجم الأوسط للطبراني
طك	المعجم الكبير للطبراني

العلل	العلل للامام أحمد بن حنبل
علي بن الجعد	مسند علي بن الجعد
القيسراني	الجمع بين رجال الصحيحين
الكامل	الكامل لأبن عدي
الكشي	المنتخب من مسند عبد بن حميد الكشي
الليث	نسخة الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب ٠
م	الصحيح للامام مسلم
المجروحين	المجروحين من المحدثين لابن حبان
المشاهير	مشاهير علماء الأمصار لابن حبان
الميزان	ميزان الاعتدال
ن	المجتبي من السنن للنسائي ٠

Periodicals

A.J.S.L.	:	*American Journal of Semitic Language and Literatures.*
J.A.S.B.	:	*Journal of The Asiatic Society of Bengal.*
J.N.E.S.	:	*Journal of Near Eastern Studies.*
J.R.A.S.	:	*Journal of the Royal Asiatic Society.*
I.C.	:	*Islamic Culture.*
M.E.J.	:	*The Middle East Journal.*
M.W.	:	*Muslim World.*

Books

E.I.	:	*Encyclopaedia of Islam.*
Law	:	*Schacht, Introduction to Islamic Law.*
Origins	:	*Schacht, The Origins of Muhammadan Jurisprudence.*

مقدمـــة

الحمد لله الذي أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم ليبلغ عن الله ما أوحي ، وتولاه بعنايته فما كان لينطق عن هوى ، وأنزل عليه كتاباً لا يجد الباطـــل والتحريف اليه مدخلا ومرقى ، وأمره أن يبين لأمته ، يبشرها وينذرها ويعلمها الكتاب والحكمة ليحقق لها السعادة في الدنيا وفي الأخرى ، فقال جل وعلا :

(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) [النحل : ٤٤] ٠

وقال جل وعلا : (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) [البقرة : ١٥١] ٠

وقال جل وعلا : (وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومـن حولها) [الشورى : ٧] ٠

وقال جل وعلا : (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) [البقرة : ٢٥] ٠

ومن ثم ألزم الأمة اتباعه صلى الله عليه وسلم ، فقال جل وعلا : (من يطع الرسول فقد اطاع الله) ٠ [النساء ٨٠] ٠

وقال جل وعلا : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهـوا) [الحشر : ٧] ٠

وقال جل وعلا : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنـه وأنتم تسمعون) [الأنفال : ٢٠] ٠

وقال جل وعلا : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما علـى رسولنا البلاغ المبين) ٠ [التغابن : ١٢] ٠

وبعـد :

فمما لا ريب فيه أن دواوين الأحاديث النبوية هي المستودع الأمين للسنة النبوية التي هي المصدر الثاني الأساسي للتشريع الاسلامي ٠ وهي الى جانب ذلك مراجع أصيلة هامة في البحث عن قضايا الشئون الاسلامية ، من عقيدة وشريعة وحضارة ، وخاصة في أدوارها الأولى ٠

ومن هنا تتجلى أهمية دراسة الأحاديث النبوية ، اذ لا يقتصر أثرها علـى فرع واحد من فروع الحضارة الاسلامية ، بل يتعدى ذلك فيشمل كافة الأسس الحضارية الاسلامية ٠

لقد أنفق المستشرقون وقتاً غير قليل في الدراسات الأدبية والتاريخية وغيرها من الموضوعات ، ولكنهم لم يتجهوا الى دراسات الأحاديث النبوية الا في وقت متأخر ، ولعل أول محاولة لها أهميتها ـ وربما تكون آخرها ـ هي ما قام به المستشرق الذائع الصيت أغناس غولتسيهر الذي نشر نتيجة بحثه سنة ١٨٩٠ م بعنوان : دراسات اسلامية (باللغة الالمانية) *Muhammedanische Studien*

وأصبح كتابه في دائرة الاستشراق منذ ذلك الوقت حتى الآن « انجيلا مقدسا » « يهتدي » به الباحثون .

وبعد مضى ستين عاما بالتقريب على نشر ذلك الكتاب ، نشط البروفسور شاخت ، وأمضى وقتاً غير قليل ، بل ربما كان أكثر من عشرة أعوام ـ كما قيل ـ في البحث والتنقيب في معادن الأحاديث الفقهية ، ونشر نتيجة « بحوثه » في كتابه الشهير :

The Origins of Muhammadan Jurisprudence

وخلاصة ما وصل اليه من نتائج أنه ليس هناك حديث واحد صحيح وخاصة الأحاديث الفقهية . وصار هذا الكتاب منذ ذلك الحين « انجيلا ثانيا » لمالم الاستشراق وفاق شاخت سلفه غولتسيهر حيث غير من نظرته التشكيكية في صحة الأحاديث ، الى نظرة متيقنة في عدم صحتها .

ولقد ترك كتابه هذا أثرا عميقا في تفكير دارسي الحضارة الاسلامية ، حتى تنبأ البرفسور جب قائلا :

« انه ـ يعني كتاب شاخت ـ سيكون في المستقبل أساسا لكافة الدراسات عن الحضارة الاسلامية والتشريع ، وعلى الأقل في الغرب » .

ولم تنشر بحوث في السنة بأقلام المستشرقين في غضون ثلاثة أرباع قرن ـ ماعدا هذين الكتابين ـ اللهم الا عدة مقالات ، وبعض كتب أخرى تعالج موضوع الحديث النبوي من بعيد .

وهناك كتاب واحد بالإنجليزية « لألفريد غيوم » وهو المسمى (بأحاديث الاسلام) *The Traditions of Islam* وهو يعتمد اعتماداً كليا على غولتسيهر وليس فيه أي جديد في الموضوع ، لذلك فليس له أي قيمة علمية .

ولقد كان يتوقع من البروفسور روبسون الذي قام بترجمة « مشكاة المصابيح » و « المدخل » للحاكم الى اللغة الانجليزية ، والذي عدل بعض آراء المستشرقين الخاطئة،أن يسهم في هذا الميدان ، ويقترب من الحقيقة ، لكنه هو الآخر أصبح مسحورا بكتابات البروفسور شاخت ، وهكذا بعدت الشقة بينه وبين فهم الموضوع على وجهه الصحيح .

أما شاخت،فلا يزال يعيش ويفكر وكأنه في القرن الماضي ، غير مبالٍ بالبحوث

الحديثة ، والاكتشافات الجديدة في دنيا المخطوطات ، ينادي بنظريات غولتسيهر ومارغوليوث التي عفى عليها الزمن كما سيتبين في الأبواب القادمة ، بل ويتطرف أكثر من ذلك ، فيستبدل شكهما بالجحود المطلق ، حتى أصبح بعيداً كل البعد عن الحقيقة ·

ويحسن بنا هاهنا أن نقتبس من كلام البرفسور جب ، بعض الفقرات لما لها من أهمية في كشف أمور خطيرة ·

كتب البروفسور جب،في مقدمة كتابه عنالاسلام *Mohammedanism* ، موضحاً الحاجة الى تأليف جديد عن الإسلام بدلا عن طبعة منقحة لكتاب مارغوليوث في الموضوع ذاته :

« تتغير أسس الحكم لزاما من جيل الى جيل · ويحدث هذا التغير أساسا اما في مادة البحث وإما في الروح العلمية ذاتها ، نتيجة لما ينشأ من التوسع في مجالات البحث العلمي والتعمق فيه من كشف حقائق جديدة،واتساع دائرة الفهم.

ولو أن الأمر أنتهى عند هذا الحد لما أقتضى أكثر من بعض الاضافات والتعديلات في نصوص الكتاب · ولكن هناك ماهو أهم من ذلك وأخطر ، ذلك هو التغير في روح العصر ونظرته ومعتقداته ،وكل مؤلف من هذا النوع فإنه لايعكس المعلومات المتعلقة بوقائع الموضوع فحسب ، بل هو مرآة كذلك للاطار الفكري والوجداني الذي يعيش في عصره ، مهما حاول المؤلف تخليصه من التحيز والأحكام المبتسرة ·

وليس هناك جيل في عالمنا المتغير ينظر الى مسائل الحياة والمجتمع والعقائد في ضوء أفكار أو قيم الجيل المنصرم · وإن الهوة التي تفصل بين نظرة عام ١٩١١ عن ١٩٤٦ لهي هوة لا نظير لها في مثل هذا الوقت القصير من التاريخ الانساني » ·

وقد مضى على كتابة هذه المقدمة عشرون عاما ومع ذلك ما زال البروفسور شاخت يفكر بطريقة غولتسيهر ومارغوليوث ·

وكافة الباحثين في الغرب أثنوا على كتاب شاخت ثناء عاطراً ، وأولوه من الاهتمام أكثر مما يستحق ، لكن ما منحوه من مدح وثناء لم يكن صادراً عن نظرة فاحصة مدققة للمنهج الذي سار عليه شاخت ، ولم يقارنوا النتائج التي توصل إليها بالنصوص التي إعتمد عليها في دراسته ، لمعرفة ما مدى المطابقة بينهما ليعرف بذلك مقدار ماتتمتع به تلك النتائج من صحة أو بطلان ·

ولما كانت نتيجة بحثي هذا تعارض نتائجه معارضة شديدة ، لذلك كنت مضطراً الى التدقيق في مراجعه واستنتاجاته ، ولم يكن هدفي من الدراسة نقد

كتابه اذ لم يكن لي من الوقت ما يفي بذلك ، لكن الدراسة التي تناولتها من كتابه ، أثبتت وجوه الضعف والخلل ، بل أثبتت أمراً أكبر من هذا ، وذلك أن منهج بحثه لم يكن علميا (١)

وصفوة القول : إن الأحاديث النبوية لم يتجه الى دراستها الا عدد قليل جداً من المستشرقين ، والذين كان لهم نتائج في هذا الميدان لا يتجاوز عددهم أصابع اليد ، ومع ذلك فإن بحوثهم لم تكن ناضجة ، ومناهج بحثهم لم تكن علمية، ويمثل ذروة هذه الدراسة كتابات شاخت التي أصبحت من المصادر الأساسية لكتاب الغرب بل ولكثيرين من كتاب الشرق أيضا . وهؤلاء قاموا بأخطر دور في تاريخ البحث العلمي فيما يتعلق بالحديث النبوي وما يتصل به من موضوعات ومن ثم وجهت سهام الطعن الى السنة النبوية من قبل مختلف الأشخاص ومن الزوايا المتعددة وتناول كل فريق منهم جانبا من جوانبها المختلفة :

ـ فمنهم من فسر السنة بمعنى « الأمر المجتمع عليه في الأوساط العلمية » ، وأنه ليس معناها سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

ـ ومنهم من طعن في حجية السنة النبوية وقيمتها التشريعية .

ـ ومنهم من ادعى تأخر كتابة الأحاديث الى قرن أو قرون ، ثم استنتج من ذلك أنه لايمكن الاعتماد عليها ، لأن الذاكرة ـ بضعفها الطبيعي ـ لابد أن تكون قد خانت في نقلها الأحاديث شفاها ، وقصرت في الحفاظ عليها خلال هذه المدة الطويلة .

ـ ومنهم من أثار الارتياب في الأسانيد وقيمتها العلمية .

فادعى البعض منهم : أنها وجدت بشكل بدائي في نهاية القرن الأول ثم تطورت .

بينما يقول البعض الآخر : إنها بدأت في القرن الثاني واكتملت في القرن الثالث .

وقال قائل منهم : كيف نقبل الأحاديث ونعتبرها صحيحة ، وقد بلغ عددها سبعمائة الف ، ألم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم شغل شاغل الا الكلام فقط ؟ .
ومنهم من أضاف الى ذلك تساؤلا آخر :
إن الأحاديث الموجودة بأيدينا لا تصل الى مائة ألف،فاين بقية الرصيد المدعى ؟
ومنهم من استنتج نتيجة أخرى ، فقال : لقد انتشر الكذب في الحديث ، فبلغ في

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتابي :
On Schacht's Origins of Muhammadan Jurisprudence
الذي سيصدر قريبا ان شاء الله تعالى .

عهد البخاري حداً لم يجد بسببه الا حديثا واحدا صحيحا من كل مائة وخمسين، أفلا يحق لنا أن ننتقد هذه المجموعة أيضا ـ مجموعة البخاري نفسها ـ فنختار منها ما نختار بالبحث والتحقيق ، وندع ما ندع غير آسفين • ولنا قدوة في البخاري ؟

ومنهم من حكم قائلا : ـ كغلام أحمد البرويز ـ ان الأحاديث لم تكن الا مؤامرة أعجمية على نقاوة الاسلام وصفائه وبساطته • والعجب أن المدعين لذلك هم من الأعاجم •

ولقد تجمعت هذه الأفكار جلها ـ ان لم تكن كلها ـ فتجسدت في كتابات « شاخت » الذي « اكتشف » بعد بحث مضن أنه ليس هناك حديث واحد صحيح وخاصة الأحاديث الفقهية وأنها في الواقع ـ على حد زعمه ـ كلام علماء المسلمين من القرن الثاني والثالث الهجريين وأقاويلهم وضعت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم زورا وبهتانا •

ونظراً لما أثير حول السنة النبوية من اعتراضات ، وما بذر في طريقها من تشكيكات ، أصبح البحث في الأحاديث النبوية ودواوينها أمراً لازما وواجبا محتما ، لأن الاسلام وحضارته ومستقبله يقوم على هذا الأساس •

ولأجل الوصول الى الحقيقة قمت بهذا البحث ، لمعرفة قيمة السنة النبوية ، وطريقة الحفاظ عليها ، ومدى امكانية الوثوق بها والإعتماد عليها من الناحية العلمية • وسرت فيه حسب الخطة التالية :

من المشاهد في حياة الناس أن عنايتهم واهتمامهم بالأمور التي تعنيهم في حياتهم تختلف نظرتهم اليها ، فكلما كان ذلك الأمر يحتل في نفوسهم منزلة أرفع بذلوا في سبيله من العناية قدراً أكبر ، حتى لتصل بعض الأمور التي يعتزون بها درجة يقدمونها على النفس والمال •

واذا كنا بصدد الحديث عن السنة النبوية وحفظها من قبل المسلمين فإننا نريد أن نتلمس موقف القرآن من السنة النبوية،ومن ثم موقف المسلمين ونظرتهم اليها ، والمنزلة التي تحتلها من نفوسهم ، فاذا تحقق لنا عظم المنزلة وبالغ الاهتمام بشأنها ذهبنا نلتمس ذلك في الوسائل التي اتبعوها في الحفاظ عليها والعناية بها •

ويقودنا ذلك الى دراسة الأوضاع والملابسات التي كانت تمر بها عملية الكتابة والتدوين في تلك الحقبة ، والقدر الذي كانت تعطيهم إياه ظروف الحياة في تيسير عملية الكتابة والتعليم ، ثم ننظر ما مدى استفادتهم من تلك المعطيات في المحافظة على السنة وتدوين الأحاديث النبوية مع انعدام المانع الذي قد يعوقهم عنها •

ومع أن دراسة كل جانب من هذه الجوانب يمكن أن تتناوله رسالة مستقلة فلم يكن ثمة ما يمنع من الإلمام ببعض النقاط الهامة التي تقتضيها طبيعة هـذا البحث ، وتعينني على اثبات الحقائق المطلوبة أو توكيدها ·

وعلى هذا فان البحث بشكله الراهن سيتكوّن من قسمين وثلاثة ملاحق :
القسم الأول : ويشتمل على تسعة أبواب :

أما الباب الأول فيبرز مكانة السنة النبوية في الاسلام ، ويثبت أنه لا غنى للمسلم عنها في شيء من شئون حياته الدنيوية والأخروية ·

والباب الثاني يصور ـ بإيجاز ـ النشاط التعليمي في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي وصدر الاسلام ·

وفي الباب الثالث مناقشة حول منع النبي صلى الله عليه وسلم كتابة الأحاديث النبوية واباحتها ، واثبات أن منع النبي صلى الله عليه وسلم للكتابة كان في حالة كتابته مع القرآن ، أو أن الحديث منسوخ ·

والباب الرابع يتعلق بكتابات الصحابة للأحاديث النبوية ، وكذلك الكتابات عنهم على أيدي التابعين ، وكتابات التابعين واتباع التابعين عن التابعين أنفسهم

وفي جيل أتباع التابعين لم أذكر الذين ولدوا بعد السنة العاشرة والمائة من الهجرة،ولو كتب عنهم المحدثون ، اذ الهدف من دراسة هذا الباب هو معرفة كيفية انتقال الأحاديث الى ظهور موطأ الامام مالك رحمه الله على وجه التقريب وكانت نتيجة هذا الباب هي الدلالة على وجود آلاف من الكتب كانت متداولة في زمن أتباع التابعين ·

وفي الباب الخامس : بحث في تحمل العلم وكيفية تلقيه ، والمنهج المتبع في دراسة الأحاديث النبوية في تلك الأيام ، وهو يلقي ضوءاً على اهتمام المسلمين وتفانيهم في سبيل خدمة العلم الشريف من ناحية ، وعلى انتشار الكتب من ناحية أخرى ·

أما الباب السادس : فيتعلق بالكتب من الناحية الشكلية ، وكذلك المواد الكتابية ، وسرقة المواد العلمية ، واضافة المواد العلمية بأقلام الآخرين في الكتب المؤلفة ، ومسائل أخرى من هذا النوع · · ·

والباب السابع : خاص بمشاكل الأسانيد وما يدور حولها من الشكوك والشبهات ، مع تقويم نظام الإسناد من وجهة النظر العلمية ، وإثبات أن الأسانيد بدأت من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ·

والباب الثامن : يبحث مدى امكانية الوثوق بكتب السنة النبوية ·

أما الباب التاسع : فهو خاص بترجمة مؤلف ورواة الجزء الذي يشكل القسم الثاني من هذا البحث ·

أما القسم الثاني : فهو يتألف من بعض المخطوطات التي انتخبتها من أكثر من عشر مخطوطات ، عاش أصحابها من نهاية القرن الأول الى منتصف القرن الثاني على وجه التقريب · وكان من الممكن تحقيق تلك المخطوطات بكاملها ، لكن وجدت من الأفضل العكوف على مخطوطة واحدة والتعمق في دراستها بغيةالوصول الى نتائج هامة ، تخدم البحث وتدعم نتائجه وقد وقع اختياري على أصغر مخطوطة من بين تلك المخطوطات ، وهي نسخة : سهيل بن صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه ذلك الصحابي الجليل ، راوية الاسلام الذي أصبح في عصرنا هذا هدفا للطعن والتشنيع ظلما وزورا ·

ولتحقيق هذه المخطوطة استعملت دواوين السنة المطبوعة والمخطوطة على السواء ، أما النتيجة فكانت مشجعة للغاية ، اذ يتكرر فيها ورود حديث واحد عشرات المرات بسبب كثرة الرواة مع تباين أوطانهم وتباعدها ، واختلاف اعمارهم ، وافتراق مشاربهم ، بحيث يستحيل ـ عادة ـ تواطؤهم على الكذب ، الامر الذي قدم دليلا قويا لا يستطيع أحد المكابرة فيه على صحة منهج المحدثين وعلميته · وأوجد طمانينة عقلية وقلبية لقبول دواوين السنة ـ بوجه عام ـ واعتبارها وثيقة من أعلى درجات الوثائق في البحث عن مصادر السنة النبوية والتشريع الاسلامي ·

أما قسم الملاحق : فيتكون من ثلاثة ملاحق :

الملحق الأول : يوضح معاني بعض كلمات المصطلح عند المحدثين مثل :

« سمعت » و « حدثنا » و « واخبرنا » و « عن » وغيرها ·· اذ وجود هذه الكلمات في الأسانيد كان سببا لايهام عدد من الباحثين بأن الأحاديث كانت تنقل شفهيا ·

وقد ثبت ـ بفضل الله ـ أن هذه المصطلحات كانت تستعمل في الاملاء والقراءة أيضا سواء أكان ذلك من الذاكرة أو من الكتاب ·

وأما الملحق الثاني : فهو رد على تساؤل الكثيرين عن ضخامة أرقام الحديث النبوي ، والتي بلغت ، في قول المحدثين ، سبعمائة ألف ، الأمر الذي شجع المستشرقين ، ودفعهم الى انكار الأحاديث النبوية بحجة عدم معقولية هذا العدد ·

والملحق الثالث : يعطينا جوابا عن اشكالات بعض المعاصرين ، من تفشي الكذب في أوساط المحدثين حتى انكمشت الأحاديث الصحيحة بنسبة واحد من كل

مائتين ، لذلك لا يمكن الركون الى المجموعة الحديثية وأنها من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم • وهو يبين بوضوح أن ما ذهبوا اليه انما هو لجهلهم بمعرفة منهج المحدثين لا غير •

وختاما ادعو الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وما قصدت الا خدمة ديني ورضى ربي وانصاف الحقيقة من ظالميها • واني أرحب بكل نقد بناء فمن طبيعته أن يسهم في خدمة الموضوع ، والله من وراء القصد •